معجم الشهداء

(باب جديد يُلْحَق بمعجم الأدباء)

(أ)

أب في السادسة والخمسين

لم يذهب الولدُ الأخيرُ إلى دراسته
الأخيرهْ
لم يحترسْ
لم يحترسْ
قطعت عليه طريقَهُ

قُطعان نملٍ مفترسْ

*

وهُرعتَ تسأل عنهُ

بين أزقةِ المنفى الصغيرهْ

لم تحترسْ

لم تحترسْ

قطعت عليك طريقَك الممتدّ في

الصَّبَوات

من ضيق المخيَّم للمساحات المثيرهْ

قُطعانُ نملٍ مفترسْ

*

لم يَحترسْ

*

لم تَحترسْ

(ب)

بنت تكتب الشعارات

جُدرانُكِ البيضاءْ
طلاؤُكِ الأسودْ
فرشاتكِ الخضراءْ
ودمُكِ الأحمرْ
غرامُكِ الوَحيدُ والأوحدْ

*

ورايةٌ جديدة
على المدى تظهرْ

بيت مهدوم بأمر عسكري

آويتَ مُعتصماً بحبل الله
والوطن الأثير

فعليك ان تأوى إلى الحَجر الأخيرْ

*

يا أيها البيتُ الذي هدمتهُ

جرّافات « بن نون »

اعتصِمْ

بالله والشعبِ القديرْ

لا بأسَ

بستّاناً تصيرْ

وتصيرُ مولوداً جديداً

أو بنفسجةً على شفة الغَديرْ

(ت)

تلميذة في الصف السابع الابتدائي

أيُّ حُلمٍ شقيّ

بين أهدابكِ المسْبَلهْ

ازعَجوا أوّلَهْ
بأزيز الرصاص الغبيّ
فانتَهى وردةً
طرّزتْ صدر فُستانك المدرسيّ

*

أيُّ حلمٍ شقيّ

(ح)

حجرٌ مرَّت عليه جنازير دبابة

لم يؤكِّدْ شُهود العَيان افادتكَ الفاضحة
لم يَعش أحَدٌ من رجال الصحافةِ
لحظتك الفادحةْ

*

النداء الذي خَنَقَتْهُ جنازيرُ دبابةٍ فاتحة
حينَ مرَّت على صرختِك

أغفلتهُ الصُّحُفْ

*

لا تَخَفْ

يا صديقي سمعنا النداءْ

وحفظنا النداءْ

لا تَخَفْ

طلعتْ وردةُ الروح من بذْرَتِكْ

يا رفيقي الحَجَرْ

كان صمتاً ثقيلاً وموتاً طويلاً

فقلْ

كل ما لم يَقُلْه البَشرْ

وكن النُّطفَةَ الواضحة

ثورةً كاسحهْ

وانتثرْ في المَطَرْ

وانتشرْ في لقاح الشجرْ

كل ما نامَ تحتَ الرمادِ انفَجَرْ

لا .

ولَنْ تُشبِه الليلةُ البارحهْ

(ز)

زهرة حمراء

وَزُّعَتْكِ الرياحُ على جُثتي
ابتهجي
زهرةَ المهرجان
واخرجي
من شقوق الحريق
على سلَّم من دخان
زينة للجنازاتِ
ميتةً ـ حيَّةً
واخرجي
صرخة من ركودِ الزمان
وموت المكان

آآآخ
وابتهجي
زهرةَ الدم والحُلمِ والعُنفوان ...

(س)
سائق تكسي

خارجَ البَلَدِ استوقفوك
فلم تتردّدْ
حلمتَ بأجر سَخيٍّ
عن السَّفرةِ الهينه
قلتَ في سرِّك الساذَجِ
(الآن قد وقعوا !
أُتيوسُ الأجانبُ
لا يعلمون بأسعارنا المُعلنهْ)

*

٥،٢٠

إنهم ذاهبون لمستوطنهْ

*

وفتحتَ لهُم بابَ أوجاعِكَ المُزمِنهْ

*

عندما أفرغوا باغَةَ الفردِ
في صدغك الساذَج
ارتجفت (ربما) ارتجفتْ لوزةً
وبكت مئذنهْ ...

سيدة كانت فقدت أُسرتها

أخذوا الاتجاه الصَّحيحْ
وَمَضوا واحداً واحداً
لن ترى منهم عائدا
أخذوا الاتجاه الصَّحيحَ إلى موتِهم
ساءَلَت موتها الحيّ في بيتهم :

أيُّ شيءٍ ترى
هو هذا المكان الفسيحْ
منزلٌ أمْ ضريحْ ؟

*

ساءَلَتْ موتَها الحيّ في بيتها
ومَضت
أخذت الاتجاه الصَحيح إلى
ساحة البلدِ الفائره
لحظات مع الحسرةِ الثائرهْ
فرحةٌ غامره

*

أقبَلت آلةُ الموتِ
(يا موتُ آن لها الآن أن تستريح)
أخذت الاتجاه الصحيح إلى موتها
أخذت الاتجاهَ الصحيح

(ش)

شغيل غير تقني

لَم تَتَدرَّبْ
كيف يكونُ السَّعيُ المُتقَن نحو الرزق
لم تتغرَّبْ
لا في الغربِ ولا في الشرقْ

*

قلتَ : أُحاولُ أيةَ مِهنهْ
قلت
وقمتَ
ورحت
وجئت
غريباً في طُرُقاتِ اللعنهْ

*

أنتَ بنيتَ ـ وَهُمْ هَدَموك
أنت زرعتَ ـ وقد عرفوك

فاقتلعوك

وعلى عاصفةٍ نثروك

*

أين ستذهبْ ؟

لم تتدربْ

لم تتغرَّبْ

كيف تحاول رزق البيتِ

وقد قتلوك ؟

(ط)

طفلٌ في الرابعة

عصفورةٌ مَيِّتَةٌ

في فمِك المطبَقْ

*

وَرَقَتا زنبقْ

في فمكَ الميتِ

*

نَعْناعُ

على جبينِكَ الأزرقْ

*

نَمْ بالهنا

يا ولدي نَمْ بالهَنا

لا . لن تطول غيبتي عنكَ ،

فلا تقلقْ

(ع)

عمر القاسم

لم تُقـايضْ قَـديمَهم بجـديـدكْ

فـاستشفُوا نُقصـانَهم في مـزيـدِكْ

هـجُ الأرضِ ، واستغاثـوا بموتٍ
حــظهُ ان يعيشَ بــين بنــودِكْ
يا رفيقَ الدُروب دَرْبُكَ ما زال
مُـضيئـاً بـشعـلةٍ من صـمــودِكْ
يا رفيقي فلا عليك وقد مـاتت
قيــودُ الغُــزاةِ فــوقَ قُـيــودِكْ
في مَهَبِّ الـرياحِ نـرفَعُ مـوتانـا
شمـوسـاً لفجـرِ عيـدي وعيــدِكْ
هكـذا نحنُ يـا رفيقيَ فـاسمَعْ
في مطاوي العَذابِ رَجْـعَ نشيدِكْ
وَليَ المجـدُ يـا شهيــد الأغـاني
فَلَقَد كنتُ شاهداً من شُهودِكْ !

عريس أخضر

لَمْ تَزَلْ نائمةً حتى الظهيرهْ
أرهقتْها ليلةُ الدَّخلةِ
فاعذرها
كبيرٌ حبُّكَ الصاخبُ
والبنت صغيرهْ
لم تزلْ نائمةً في التّختِ
حنَّاءُ على الكفين
طَبُّوقٌ صغيرٌ في الضَّفيرة

*

أيها العاشقُ
قمْ في خِفَّةِ الفَهدِ
إلى حاكورةِ الدارِ
وهيئْ للعروس
باقة النعناعِ والوَرْدِ

وقدّمها إلى شمس الشُّموسْ

*

أيُّها العاشقُ

قُمْ من غفوةِ الموتِ

على الباب العتيق

كيف لم تَحْذَرْ وقد مرُّوا بدوريَّتهم

عبر الطريق ؟!

(ف)

فراشـة

صُدفَةً

حوَّمْتِ حَولَ الوردةِ الحَمراء

صدفه

*

حوَّمَتْ طيّارةُ الهليكوبتر السوداء

صدفهْ

*

قَذَفتْ قُنبلةَ اللَّوْنِ

على الطلابِ

صُدفهْ

*

أطلقتْ قُنبلة الغازِ

على المنزل

واللوزةِ

والوردةِ

صُدفه

*

كنتِ في الوَردَةِ

في اللونِ وفي الغاز

وصدفه

أغلقَ الموتُ على المَنْظرِ شُرفَهْ

(م)

موت قبل الولادة

هكذا ،

يا صديقي الجنينَ حَسَمْتَ الحوارْ

حولَ ما سيكون اسمُ هذا الوليدِ الجديدْ

*

قيل : بنتٌ تُسمَّى « هزار »

قيل : بل ولدٌ ذكرٌ

وسيدعى « سعيد »

وحسمْتَ الحوارْ

(بعد قنبلةِ الغاز !)

ناديتَ : يا أهليَ الطيبينْ

أنا .. هذا الجنينَ

جئت باسمي ، وجاءْ

فالرجاءَ الرجاءْ

اكتبُوه على حجرٍ من بلادي اكتُبوهْ

واقذفوهْ
في ظلام السنينْ
جئتُ باسمِ الوَليدِ الجديدْ

جئت
باسم « الشّهيدْ »

(و)

ولد يرفع الأعلام على أعمدة الكهرباء

أقْصَرُ من عُمْرِكْ
مسافةُ الموتِ
الذي يمتَدُّ
من بنادق الجيشِ
إلى ظهْرِكْ

*

أقْصَرُ من عُمْرِكْ .

S.O.S.

أولُ الماءِ بَسملةٌ
جفَّت البئرُ في حارةِ الفُقراء المساكين
غاضَتْ عيونُ البراري القديمة
يا أصدقاءَ النبيّ احفروا مرةً ثانية
واحفروا مرةً ثانية
احفروا
آستمطِروا
واذكُروا

٥٣٢

العِطاشى هُنا .. وهُنا الآنيهْ
اسألوا غيمةَ الحجر الباقيهْ
واخرجوا من شقوق التراب
اخرجوا من شقوق منازلكم
بالأكفِّ التي تتضرعُ
مُنشبةً سخْطها في شقوقِ السماءِ البعيدة :
يا خالقَ الكائنات
اظهر الآن من نار هذا الإطار القديم
كما أظهَرْتَكَ المآسي على طور سيناء
من نار عُلَّيقَةٍ شَوكُها يتكاثرُ في وَردتي
وتُدَمِّي اكاليلُهُ جَبهتي ..
(إرص يسرائيل هَشْليمَه
أجرات هتلفيزيا
پيحوت زوحيل أبطَلَه سْمويَه
مِمشيلِت احدوت ليئوميت
إنفلاصيا دوهيرِت
إنفلاصيا ميروسينِت

يَجون ميروسَنْ
كليطَتْ عَلِياه
دَمْ دوهير ..*)
آخرُ الماءِ حَوْقَلَةٌ
والمطرْ
في مسامّ الحجرْ ..

أول الماءِ آخرُهُ
تَخرُجُ الريحُ من بيتها الجبليّ القديم
محمَّلةً بالطعامِ لماعِزِها
تستحمُّ قليلاً وراءَ الشواطيء
تَقْلِبُ في طيشها مركباً
وتعودُ إلى البيتِ قبلَ الغروب
مُروراً بقرنِ الغزالِ المروَّع
« ها نحن منتظرات »
تَصيحُ العجائزُ من قَلعةِ الغَيْم
ها نحنُ يا بنتُ

داهَمَنا البردُ في عُرينا المُمْحِلِ
آحتَرمي حُزنَنا العائليّ
آملأي موقدَ الذكريات
بما ظل في سفحنا من حطبْ
واستهلّي بأوجاعِنا حفلةَ البرق والرعدِ
دُوري ودُوري
كما تشتهي رَقَصاتُ اللهبْ .
أوّلُ الماءِ آخرُهُ
أستغيثُ ولا أستغيث
فَمي طفلةٌ ميِّتة
فقأت عينها حَدأةٌ
قَدِمَت من جَليد الكوارثِ
واستوطنتْ جُثتي
قُربَ «باب المغاربة»(*) التفتَتْ فجأةً
شاهَدَتْ طفلةً ميِّتة
فقأتْ عينَها .. ثُم عادَتْ إلى جثتي
ابتدأتْ غُربَتي

يتناهى إلى السَّمع بعضُ الحديثِ المُصمَّم للعرض في مُدُنٍ من رُخَامِ الزمان. الرخام الذي صقلتْهُ التواريخُ ، مرَّ عليهِ الأباطرةُ المُلتحون . وجرَّت عليه الأميرات تَفْتا السَّرائِرِ والشُّبُهات النبيلة ، أُصغي بما يقتضي پروتوكول الولائم. لا يشعرون بأنشوطةٍ من حرير تشدُّ رويداً رويداً على عُنُقي البدويّ . ولا بأسَ في بَسْمَةٍ هذَّبَتْها التجاربُ . تمتد تحت الشراشفِ ساقٌ تُداعب ساقي . وتلكزُني بدلالٍ من التُّخمةِ الحَضَريَّةِ سيدةٌ أرهقَتْها المباذلُ . تهمسُ : هل أعجبتْكَ المغنية التونسيةُ؟ أم أضجَرَتكْ رواياتُ هذا الأمير السعوديّ عن صفقات السلاح الأخيرة؟ هل تعشق البحرَ مثلي ؟ أتعلمُ أنَّ السباحَة عاريةً هي أحلى الهواياتِ عندي ؟! لا سيما في أماسيِّ ڤينيسيا المُقمِرة.

يتناهى إلى القلب ما تفعلُ النَّزواتُ الثريَّةُ بالجُثثِ المُقفِرة .

فجأةً تخجلُ الروحُ من عُريها
يخجَلُ العُقمُ من عُقمِهِ
تخجلُ النخلةُ المثمرة .
فجأةً وتضيقُ المساحاتُ

ألقصرُ زنزانةٌ للغريب
تَطولُ المسافاتُ في الحزنِ
تضربُني . تضربُ الروحَ زلزلةً
تسقطُ التُّحف الغاليهْ
تتحطَّمُ فوقَ الرُّخام العريقِ الصحونُ المذهَّبَة الراقيهْ
فجأةً تبدأ المجزَرَهْ
تبدأ المجزرهْ
في أماسيِّ ڤينيسيا المُقمِرهْ

أستغيثُ ولا أستغيثُ
يدي وردةٌ من رصاصْ
فجَّرَت عطرَها الدمويَّ
على الدرجاتِ القريبةِ من جامع « القَصَبهْ »
(مُقريءُ الغاز يستوطن الرئة الوادعهْ)
ويدي وردةٌ للخلاصْ
قذفَتْ عطر أحزانها المرعبهْ
حجراً نابضاً

في فضاءٍ من المَوت والشهوةِ اللاذعهْ
هُنا .. هُنا .. لا مناصْ.
كانت المعصيهْ
ويكونُ القصاصْ
ويكونُ هنا مطلع الأغنيهْ :
« طفلةٌ »
طفلةٌ شاهَدوها على شاشةِ التلفزيون
في كل بيتْ
وَهْيَ في ثوبها المدرسيِّ محاصرةٌ
وَهْيَ خائفةٌ
وهي طافحةٌ بقروحِ العذاب القديمةِ
صارخةٌ دونَ صوتْ
فجأةً طوحتْ يدُها في فضاءِ الرُّدى
آنقبضتْ قَسَماتُ الحديدِ على غيظِها
انفجرت غيمة في المدى
آنفجرتْ وردةٌ ناسفهْ
لم تَعُدْ خائفهْ

أيخافُ من الموتِ مَيْتْ ؟

. . . . . .

شاهَدوها على شاشةِ التلفزيون

في كل بيتْ

واستدارَ المُذيعُ الأنيقُ

إلى ماكياج المذيعةِ

في نبأٍ عاجلٍ

عن شؤون الأميرةِ « آنْ »

. . . . . .

واستدارَ الزمانْ

. . . . . .

شاهدوها على شاشةِ التلفزيون في كل بيتْ

غضبوا .. دونَ صوتْ

سَكَبوا دمعتينِ على دمِها

اتقنوا كلماتِ الرثاءِ الوجيزة

وانسَحَبوا

عائدين إلى زمن لا يعود

إلى شَهَوات النساءِ الصغيراتِ
في رُدُهات الفنادقِ
للجَدَلِ المتحضِّر حَول خَبايا السياسات
للجوني ووكر (بالثلج)
للصُّحُفِ الأجنبيةِ
مَوْتى وتبعثُهُم للحياةِ جراثيمُهُم
إثمُهُم طاهرٌ
عقَّمَتْه الكوارثُ والذكرياتُ النبيلةُ
لا بأسَ في دمعتينِ على دَمِها
في المرائي الرصينةِ
في زمن لا يعودُ ..

. . . . . .

وها أنذا استغيثُ ولا أستغيثُ
أنا العربيُّ المُضيءُ
آلتقيُّ البريءُ
أنا قُوة الشعراء
بُلوغُ المغنّين

لم تسمَعوني
ولم تُبصروني
وحيداً بعيداً
بُراقَ الأغاني الحميمهْ
أرشِدوني إلى بلدي
وخذوا بيدي
خطوةً في سديم الجريمَهْ
أرشدوني إلى جسدي
أرشِدوني إلى طلقةِ الرحمةِ الثانيهْ
وَخذوني
إلى ضربتي القاضيهْ ..

. . . . . .

. . . . . .
أستغيثُ ولا أستغيثُ
ءُ ءُ
ابي .. يا ابي
رحلتي في اتجاهين
تذكرتي لاتجاهٍ وَحيدْ

فوقَ أرضٍ تميدْ .
يا أبي
من يُؤاخي دَمي في انفجاراتِهِ المُرعبهْ
من يواسي صواعقَهُ المتعَبهْ
يا أبي
من يردُّ اللحافَ على جَسَدِ الطفلةِ النائمهْ
في فِراش التهاليلِ والحُلمِ
مَنْ ؟
من يصد رياحَ الجحيم عن الوردةِ الناعمهْ
من يقول الكلام الأخير
لدبابة الهمج القادمهْ
بأناشيدها واحتفالاتها القاتمهْ ؟

. . . . . .

يا أبي
تلك اسناننا تتفتت تحت الهراوات
في غُربةِ الكولينوس .
شَعْرُنا يتساقطُ في قبضةِ الفاتحين

وفي ساحة بريليانتين
يا أبي
هوذا مَلِكُ الغازِ والكِنْت
يذبحُنا بسيوف اللهبْ
نحنُ أسرى الأسى والتعبْ
في غياهِب سجنِ الغزاة
وأسرار رِنْتِغِن
نحنُ سَبايا مخاوِفِنا المزمنهْ
بينَ دَمْعَتِنا السِّر
والضِّحْكَةِ المعلَنَهْ
يا أبي
يا أبي
أعطني يَدَكَ المؤمنهْ .
يا أبي
أنا شيطانُهُم زمناً .. والملاكْ
زَمَنا
لم يعد لي مكانٌ هناكْ

لم يعد لي مكانٌ هنا
وأنا
لم يعُد لي أنا
من يَلُمُّ الشراكْ
من يفكُّ الشِّباك
يا أبي
من سواكْ ؟!
.
. . . . . .
أستغيثُ . ولا أستغيثُ
اسمعيني وما من سميعٍ اجيبي وما من مجيبٍ
أغيثي وما من مُغيث
لأني أُريدك من جسدٍ وأُريدُكِ من حُلُم
وأجيئُك في باقةٍ من زهورِ جبالي الأسيرةِ
أختارُها زهرةً زهرةً وأجيئك
يا امرأة من رمالِ صحاراي
يا امرأتي وأجيئُك
في باقةٍ من زهورِ القرابين

تختارُني مقتلاً مقتلاً
وأُغنّي
يا إلهي أُغنّي !
يا إلهي أُغنّي على صَبَواتِ دَمي البدويّ
أعدني إليّ
انتشلني ..
. . . . . .
أنذا في صِراطي إليكِ
آفتَحي بابَكِ الذهبيَّ المُطَعَّم بالنارِ والدمّ
قُومي افتَحي بابَكِ الذَّهَبيَّ
لأدخُلَ ما شئتِ لي من جِنانِ الشَّهادات
يا آمرأتي
وأُغنّي
يا إلهي .. أُغنّي

أستغيثُ . بمن أستغيث ؟
أستغيثُ . ولا أستغيث ..